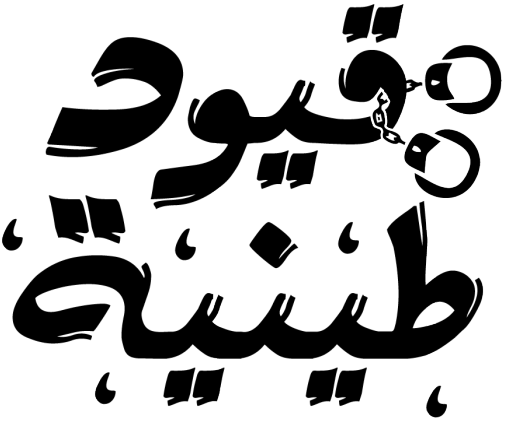


مجموعة قصصية

خامسة آل فرحان

ماستر

# قيود طينية

## مجموعة قصصية

## خامسة آل فرحان

تصميم الغلاف
بيشوى ظريف

الجمع والإخراج
التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع/ ٢٠١٩/٢٠٨٦٧م

ISBN: 978-977-85571-2-1

13,5×19.5 CM

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

ماستر
٢٠٢٠م

Email: master.publisher@hotmail.com
Facebook: facebook.com/Master.PH
Smashwords: smashwords.com/master.ph
Tel & Whatsapp/ 0128 730 3637

# الإهـــــداء

أهدي هذا الكتاب
إلى أرضي وجنتي.
إلى بركاني الحاني ..
إلى أمي الجميلة التي إليها انتمي ومنها بدأْت ..

# مقدمـــــة

من منا لا يتمنى عيش حيواة متباينة. و من منا لم يشعر بالسأم من طريقة عيشة أو من حياته الرتيبة. من منا لم يحاول يوما إجراء تغيير جذري على حياته كي يشعر بالفرق. ومن منا لم يحاول أيقاف وتيرة يوم حافل أو يسعى لتعجيل دقائق انتظار خانقه تعوق سير اليوم. قد يستطيع بعض منا الهرب من واقعه مسافرا إلى قطر جديد، أو مستمتعا بحبكة فلم سينمائي محاولا إقحام نفسه كأحد شخوصه، أوخارجا إلى مغامرة حرة مختلفة، أومتسلسلا إلى صفحات كتاب شيق يلتف بجنبات نصه. في هذا الكتاب الصغير، أوردت تجربة مستوحاة من قصيدة ابن سيناء العينية التي تحكي قصة الروح العالقة بالجسد وحيرتها بين الرغبة والرفض. فهي تبدأ عازفة عن الولوج إليه وتنتهي متعلقة به أي تعلق. وتحكي هذه القصص تجربة تخيلية فريدة لروح جربت الولوج إلى عدة أجساد هربا من واقعها وعادت إلى جسدها وقد باتت عارفة بما كانت تجهل.

# قيود طينية

هبطَتْ إليك من المَحَلِّ الأرفعِ
ورقــاءُ ذاتُ تـعّـزُّزٍ وتَمَـنُّـعِ

محجوبةٌ عن كلِّ مُقلةِ ناظرٍ
وهي التي سَفَرَتْ ولم تتبَرْقَعِ

أنِفَتْ و ما أنِسَتْ فلما واصَلَتْ
ألِفَتْ مجاورة الخرابِ البلقَعِ

وأظنها نسيتْ عهوداً بالحمى
ومنازلاً بفراقها لم تَقنَعِ

حتى إذا اتصلتْ بهاءِ هبوطها
مِنْ ميمِ مركزِها بذاتِ الأجْرَعِ

عَلِقَتْ بها ثاءُ الثقيلِ فأصبحتْ
بين المعالمِ والطُلولِ الخُضَّعِ

تبكي إذا ذكرتْ عهوداً بالحمى
بمدامعٍ تهمي ولم تتقطَّعِ

وتظلُّ ساجعةً على الدِّمَنِ التي
درسَتْ بتكرارِ الرياحِ الأربعِ

إذ عاقَها الشَّرَكُ الكثيفُ وصدَّها
قفصٌ على الأوجِ الفسيح المِربعِ

حتى إذا قرُبَ المسيرُ إلى الحمى
ودنا الرحيلُ إلى الفضاء الأوسَعِ

وغدَتْ مُفارِقَةً لكلِّ مُخَلَّفٍ
عنها حليفُ التُّرْبِ غير مُشَيَّعِ

هجعَتْ وقد كُشِفَ الغطاءُ فأبصرت
ما ليسَ يُدرَكُ بالعيونِ الهُجَّعِ

وغدتْ تُغرّدُ فوقَ ذروةِ شاهقٍ
والعِلمُ يرفَعُ كلَّ من لم يُرفَعِ

فـلأيِّ شـيءٍ أُهْـبِـطَـتْ مِـنْ شامخٍ
عالٍ إلى قَعرِ الحضيضِ الأوضَعِ؟

إنْ كـانَ أهْـبَـطَـهـا الإلـهُ لحكمةٍ
طُـويَـتْ عـن الـفَـذِّ اللبيبِ الأروَعِ

فهبوطُها . لا شكّ . ضربةُ لازبٍ
لـتـكـونَ سـامـعـةً لِـمـا لم تَـسـمـعِ

وتـــعـــودُ عـــالـمـــةً بـــكـــلِّ خـفـيَّـةٍ
في العالمينَ .. وخَـرْقُـهـا لم يُـرْقَـعِ

وهـي الـتـي قـطـعَ الـزمـانُ طريقَها
فـكـأنـمـا غـرَبَـتْ بـعـينِ المَـطْـلَـعِ

فـكـأنـهـا بـــرقٌ تـــأَلَّـــقَ بـالـحـمـى
ثـمّ انـطـوى .. فـكـأنّـهُ لم يـلـمـعِ

بعد أن انتهت رفعة من قراءة عينية ابن سينا أغلقت الكتاب وتمددت على سريرها واضعة يديها تحت رأسها سارحة في عالم من الخيال والتمني. مطلقة تنهيدة عميقة ملئها الحسرة ومبحرة في ذكرى ما كان متسائلة: كيف كانت لتكون الحياة لو بقيت كهذه الروح التي وصفها ابن سينا؟ يا لها من حياة؟ هل كنت سأضطر للبس كل هذه الأقنعة؟ هل كنت لأبقى أنا؟ لمَ كان عليك أن تهبطي يا روحي لتلتصقي بهذا الجسد الخرب؟ أما كان من الأفضل لو بقيت حرة أم أنك جبلت على الحبس ولا تستحقين الحرية؟ لمَ كان على التعرض لمثل هذه التجربة؟ ولمَ كان علىَّ أن أكون امرأة؟؟؟

## - قبـل يومـــين -

ذهبت رفعة للسوق مع شقيقها الأصغر بين خمسة أشقاء هي الأكبر بينهم وبطبيعة الحال كان عليها أن تتملق لفترة له ليوافق على أخذها للسوق. وبينما هي في السوق النسائي الواقع ضمن مجمع تجاري كبير مكتظ بالناس، جلس شقيقها في الخارج ينتظر انتهائها من انتقاء الفستان الذي أرادت أن تشتريه لحضور زفاف إحدى قريباتها. وبعد أن اختارت إحدى الفساتين من المحل خرجت ولكنها لم تجد شقيقها حيث كان. عادت إلى المحل وحاولت الاتصال به عدة مرات عبر هاتفه الخلوي لكنه لم يجب. خرجت من المحل باحثة عنه في السوق ولكنها لم تجده. توجهت إلى موقف السيارات وبحثت عن سيارته فوجدتها متوقفة في مكانها. عاودت الاتصال به مرة أخرى لكنه لم يجب فتملكها الخوف والقلق مما قد يكون قد أصابه. فكرت في الاتصال بالبيت لكنها تراجعت لان اتصالها بالمنزل سيزيد الأمر سوءا.

مرت نصف ساعة وهي تمشي في السوق في حالة من اللاوعي وهي تمسك بهاتفها المحمول وتتمتم بكلمات لا يفهمها غيرها. وتتوقف فجأة كيلا تصطدم بذلك الحاجز البشري الذي وقف أمامها قائلا: ماذا هنالك يا أختي عافاك الله؟

التفتت إليه فإذا به شيخ ملتح يرتدي ثوباً قصيراً وله لحية سوداء طويله وقد بدا عليه الورع والوقار

رفعه: يا شيخ. هل لك أن تساعدني؟

الشيخ: لك ذلك فأنا مستعد لمساعدتك في كل زمان ومكان؟

رفعة: جزاك الله خيرا. إنني أبحث عن .....

الشيخ: اتركيه. لا تبحثي عمن تركك وخذي ما تجدينه جاهزا وتحت الطلب... لقد لاحظت بانك كنت تجوبين السوق بحثا عنه ويبدو بأنه غير آت.

رفعة: ماذا تقصد؟ أي طلب؟ وهل أنت عامل توصيل؟

الشيخ: هذا الذي تتصلين به لن يكون أفضل منى. جربيني ولن تندمي... يا حلوتي.

رفعة: أيها الوقح السافل. لعنك الله .

الشيخ: (بصوت مرتفع) استغفر الله يا أخيه. عيب عليك ما تفعلين. اتقي الله

الشيخ: أنت من عليه أن يتقي الله أيها الحقير.

يجتمع الناس في السوق على الصراخ ويبدأ الجميع

بالنظر إلى رفعة باحتقار وهي تكيل السباب للرجل المتنكر في زي رجل دين والذي لم ينفك يستغفر ويحاول قلب الوضع لصالحه. ومن بين الجموع يظهر فارس ملثم بشماغه ويشد رفعة من يدها ويسحبها من بين الحشود إلى الخارج معتذرا للشيخ عن وقاحة الفتاه بينما يجيبه الشيخ قائلا: إن كانت هذه عورتك وعارك فعليك أن تعيد تربيتها؟ المرأة العابثة هي خراب المجتمع؟

رفعه وهي تصرخ: أنا عابثه أيها الكلب المرقط... أيهاااا الحيوان ذو الساقين المتورمتين؟ وبينما هي تتصرف بهستيرية تفاجئ بصفعة مدوريه من الملثم على وجهها تسكتها وتثبت بصرها على من كان يجرها في السوق... لقد كان هو أخوها الذي أفزعها غيابه.

وفي السيارة لم يزل لثامه ولم ينطق بكلمة حتى وصلوا إلى المنزل حيث روى الفتى لأمه وإخوته ما حدث كونه غاب للحظات في دورة المياه ليعود ويرى أخته العابثة تتهجم على رجل الدين. وعندما حاولت أن تدافع عن نفسها بقولها "لم تكن لحظه. انظر إلى جوالك" عاجلها بلطمة كانت هي القاضية حيث لم تعد تريد أن تضيف كلمة واحده بعدها ورضيت بأن تكون هي المخطئة والعابثة والسيئة. فشقيقها الذي اتضح لاحقا انه كان على موعد مع صديقة له في السوق ما كان ليسمح بأن يفتضح أمرة أبدا. قررت رفعة أن تحبس نفسها في غرفتها

لتتفادى غضب عائلتها وفي أثناء ذلك أخرجت جميع الكتب التي اشترتها ولم يتسن لها أن تقرأها ومن بينها كتاب فلسفي لابن سينا وجدت فيه عينيته الشهيرة. قرأتها مراراً وتكرارا وتمنت لو أن تلك الحرية تمنح لها. أرادت أن تطيروتتحرر من جسدها الذي مهما غطته أكوام القماش يبقى عورة ظاهرة. أرادت لعقلها أن يسيطروأرادت لروحها أن تسمو. أرادت أن تعود إلى نقطه البداية قبل أن تكون القيود الطينية أو قبل أن تُقولِبَا القيود إلى ذلك الجسد .. أرادت وأرادت وحصل لها ما أرادت حيث أفاقت في صباح اليوم التالي ولم تكن هي بل كانت شخصاً آخر في مكان وزمان آخرين .... لكن هل ستتحرر من قيودها إن غيرت ردائها الطيني وهل الرداء الخارجي هو المشكلة أم ما يحيط به من أرواح مقيده؟؟؟؟

## قفزة إلى الماضي

### صالحة

هجعَتْ وقد كُشِفَ الغِطاءُ فأبصرت
ما ليسَ يُـدرَكُ بالعيونِ الهُجَّعِ

تفتح صالحة عينيها على صوت صياح الديك ونداء والدتها التي تطلب منها الاستيقاظ لأداء صلاة الفجر. تغادر صالحة فراشها الممدود على الأرض وتطويه وتضعه في زاوية الغرفة وتتوجه إلى الحمام لتتوضأ وتصلي وبعد أن تنهي صلاتها تذهب ابنة الـ١٤ ربيعا إلى المطبخ لمساعدة والدتها في وضع الفطور الذي كان عبارة عن خبز برولبن مخيض وقهوة. وبعد الانتهاء من الفطور والتنظيف كان الوقت قد حان للمضي إلى العمل في الحقول حيث تسفع الشمس المشرقة الوجوه وتكسوها بسمرة القمح والدخن ولمعان السمن البلدي. وفي الحقل، تمضي صالحة في عملها غير منتبهة لتلك

العينين اللتين كن يراقبنها عن كثب بنظرات امتزجت فيها الرغبة مع مشاعر أخرى زادتها حرارة الشمس وهجا. وبعد أن تنتهي صالحة من جز البرسيم وربطه وتجهيزه لينقل للمواشي هي وابنة عمها نوره تحمل كل منهما حزمتها وتتوجه إلى البيت:

نوره: لا أدرى لم أكره أن أمشي أو أعمل وهذا المخلوق بالجوار؟ وجوده يربكني جداً.

صالحة: من تقصدين؟

نوره: وهل يوجد غيره ... هذا الذي لا ينفك يعزق في نفس المكان يوميا.. وكأنما يحفر بئرا لا يعزق ساقية.

صالحة: أرى وضعه عاديا... هو يعمل في أرضه.. ما شأننا به .

نوره: يعمل في أرضه وعينيه علينا ... قليل الحياء .

صالحة: لا تعيريه انتباها ... امضي في دربك ولا تفكري به ولا تلتفتي إليه حينها لن تشعري بوجوده مثلي تماما.

نوره: أتمني أن أعرف كيف لك ألا تنتبهي له وهو يرمقك بنظرات مرعبة؟

صالحة: يرمقني أنا؟

نوره: نعم أنت... إنه يتفحصك بتمعن.

صالحة: تكذبين .

نوره: أقسم بالله .

صالحة: حقا ...أنا لم ألحظه أبدا.. هل تعتقدين بأنه.....؟؟؟

نوره: بأنه ماذا؟

صالحة: لا شيء لا شيء.

نوره: صالحة ... انتبهي. أنا أقول لك هذا الكلام كي تحذري منه. أنا أكبر منك وأعلم منك .. كما أن أمي قد أخبرتني الكثير عن الرجال وأخبرتني بان أكون حذرة جداً منهم.

صالحة: ما بك؟ أنا لم أقل شيئا. ثم أنك تكبرينني بعامين فقط ولست جدتي.

نوره: أنا حذرتك وكفى. وإن استمر في النظر إليك بهذه الطريقة أخبري أخاك كي يوقفه عند حده.

صالحة: وكيف لي أن أعرف إن كان ينظر إليَّ بهذه الطريقة أو تلك... أنت من لاحظه يا ملاكي الحارس .. إن رأيته يتفحصني مرة أخرى كما قلت فأخبريني. وعلى ما يبدو أنت تريدينني أن أخبر عليا ليأتي ويحرسنا.

نوره: حسنا أنا لم اقل أخبري عليا. أخبري مبارك إن أحببت. ها نحن قد وصلنا إلى البيت ... إلى اللقاء ... سألقاك عند العصر... مع السلامة.

صالحة: في حفظ الله.

تضع كل واحدة منهن حملها بجانب الحظيرة التي كانت بجانب بيت الطين الذي تعيش فيه كلا العائلتين مع الجد والجدة والأعمام .. وتتوقف صالحة سارحه لبرهه بعد أن تدخل نوره إلى البيت وتعلو وجهها ابتسامة هي ابتسامة الانتقال من الطفولة إلى المراهقة. تلك الفترة الحياتية التي

لا يعي فيها المراهق ما يجري حوله. وبالنسبة للفتاه هي مرحلة طفرة للعواطف الجياشة التي تحتاج إلى توجيه. ابتسمت وقالت في نفسها تلك الكلمة التي لم تجرؤ على ذكرها أمام ابنة عمها.. تلك الكلمة المحرمة التي كانت تسمعها عندما كانت تسترق السمع إلى أحاديث الكبار.. تلك الكلمة التي كانت تسمعها في الأناشيد التي تغنى في الحقول .. تلك الكلمة التي تسبب المشاكل لكل من ينطقها ... قالت في نفسها «هل يعني هذا أنه يحبني؟؟ « هل يعني هذا أنني سأتزوج قريبا ويصبح لي بيت وأولاد وأغنام وماشية لي لوحدي ؟؟ وهل سأرتدي الشيلة والثياب الجميلة وأضع العطر كما تفعل أمي؟؟ ولم لا فأمي قد تزوجت وهي في مثل سني؟ وأنا مثلها تماما.. وتسرح صالحة في خيالها حين يقاطعها صوت نداء أمها من المنزل:

صالحة... لم تقفين عندك؟؟ ادخلي من الشمس ....

تدخل صالحة إلى البيت وهي مطأطئة برأسها خجلا وكأنما كانت تفكر بصوت عال.. وكأن أمها قد سمعت ما يدور في خلدها ..

الأم: ما بك؟ لم تأخرت اليوم؟

صالحة: وهي مطأطئة؟ لم نتأخر كثيرا.. لقد تحدثنا مطولا وأخذتنا الأحاديث ولم نمش بسرعة؟

الأم: ولكن أين هي نوره؟ ألم تكن معك؟

صالحة: بلى لقد دخلت إلى البيت لتوها.

الأم: صالحة انظري إلى.. ما بك؟

صالحة: لا شيء أمي. لم تسالين؟

الأم: أنت تبدين غريبة الأطواروكأنما اقترفت ذنبا.

صالحة: لا يا أمي والله لم أفعل شيئا.

الأم: إذا لم أنت خجلة هكذا .

صالحة: لا شيء أنا فقططططط خجلة منك وخائفة من توبيخك لأني تأخخخررررت قليلاا١١ ...

الأم: يعني كنت تقفين كالبلهاء في الخارج كي لا أحاسبك على التأخير.

صالحة: نعم .

الأم: الحمد لله يا ربي... تتأخرين عن الدخول إلى المنزل كي لا أوبخك على التأخير؟؟ الحمد لله .. أشعر بالاطمئنان ... اعتقدت بأنك أصبحت عاقلة فجأة. اذهبي إلى المطبخ وأعدي الغداء حتى آتيك هيا .

صالحة: حسنا .

تتوجه صالحة إلى المطبخ وهي تحمد الله بان أمها لم تكتشف سرها الذي لا تعرف إلى أين سيأخذها وكيف سيبدل هذا السروجودها كله.

## قفزة إلى الماضي

### صالحة

هجعَتْ وقد كُشِفَ الغِطاءُ فأبصرت
ما ليسَ يُـدرَكُ بالعيونِ الهُجَّعِ

يبدأ الروتين اليومي لصالحة مع بزوغ فجر يوم جديد.. تستيقظ باكرا.. تصلي. تعد مع أمها الإفطار وتنظف البيت ومن ثم تستعد للذهاب إلى الحقل لكن الروتين اليومي هذه المرة أُدخل عليه بعض التغييرات. حيث ارتدت صالحة ثوبها الذي تحبه والذي قد خصص للمناسبات والتجمعات. كان ثوبا مورداً ومزركشاً وله رباط عند الخصر كما أن ألوان الزهور التي كانت به قرمزيه طبعت على خلفيه باللون الترابي.

وارتدت على رأسها منديلا قد طرزته بنفسها عند الحواف فبدت جميلة كوردة مشبعة بقطرات الندى. لقد أثرت بها نظرات الشاب وأصبحت تسترق النظر إليه أحيانا

وهي تمشي. لقد أرادت أن تبدو أكثر جمالا ولربما أزادت أن تزداد نظراته إعجابا بها لتبدأ قصة الحب مع صاحب العينين الناريتين. لكن التغيير لم يسعد الأم التي صرخت بوجه صالحة قائلة: إلى أين بثوبك هذا وحلتك؟ أتتزينين للحقل أم أنك ذاهبة إلى مكان آخر؟

صالحة: لا يا أمي أنا ذاهبه للحقل.

الأم: إلى الحقل بثوب العيد؟؟؟

صالحة: أمي انه ثوب العيد الصغيروقد خِطتِ لي ثوبا بعده .. ثم أن ثوبي الذي اذهب فيه إلى الحقل قد تمزق من الجانب الأيمن.

الأم: خيطيه.

صالحة: ليس لدي الوقت.. سأتأخر على الحقل.

الأم: لن تتأخري على شيء. عودي وغيري ثوبك .. ثم أن لديك ثياباً أخرى قديمة غير هذا.. هذا الثوب لا يناسب الحقل أبداً.

صالحة: أمي ... إنه ثوب قديم وعادي.

الأم: قلت عودي وبدليه أو ابقي في البيت وأنا سأذهب إلى الحقل.

صالحة: أمي .. ثيابي الأخرى متسخة.

الأم: يا بلهاء أنت ذاهبة للحقل لا لحفلة عرس. أنت تذهبين لتتسخي.

صالحة: أريد أن أرتدي هذا الثوب يا أمي.

الأم: تريدين ارتداء هذا الثوب؟؟؟ إذاً ارتديه وابقي

في المنزل .. اطحني الحب ونظفي المنزل واغسلي الملابس وأنا سأذهب إلى الحقل اليوم.

صالحة: حسنا حسنا أمي. سأبدله .. سأبدله.

الأم: وبدلي منديل راسك كذلك.

صالحة: حسنا .

تسحب صالحة قدميها وتتوجه إلى الغرفة وتبدل ثوبها بثوب آخر فضفاض وقديم وتذهب إلى الحقل بوجه متجهم وهناك ترى صالح الذي وقف منتصبا عندما رآها وهذه المرة انتبهت له جيداً ورأت ابتسامته العريضة وعينيه البراقتين ووجهه الذي تعوزه النظافة. كان فتاً في الثامنة عشر من عمره. نحيل الجسد متوسط القامة أسمر اللون قد طبعت عليه الشمس علاماتها. وكان شعر وجهه قد ظهر بشكل غير مرتب فأضفى على ملامحه نوعا من القبح الواضح. لكن مع كل هذه الملامح إلا أن صالحة نظرت إليه ورسمت على شفتيها ابتسامة عريضة جدا بدت فيها أسنانها الصغيرة والجميلة بينما مشت على استحياء ناحية الحقل حيث كانت نوره تجز البرسيم. وجلست بدورها لتبدأ العمل مع بقايا ابتسامتها وحمرة خدها التي لم تتلاشى بعد.

نوره: وعليكم السلام. لم تأخرت.. انتظرتك مطولا بالباب؟

صالحة: لا لا شيء... لقد تجادلت قليلا مع أمي.

نوره: بشأن ماذا؟

صالحة: بشأن ثوبي.. لم يعجبها الثوب الذي كنت أرتديه وطلبت مني تبديله.

نوره: ولماذا؟

صالحة: لأنه ثوب العيد ولا تريدني أن أفسده في الحقل.

نوره: ولم أردتِ ارتداء ثوب العيد لتتلفيه في الحقل؟ أين عقلك؟

صالحة: إنه قديم وسأرتديه على أية حال.. ثم أن ملابسي الأخرى متسخة أو ممزقة أو أو أو

نوره: أو ماذا؟ أنت ذاهبه للحقل وليس للحفل. ثم أننا جميعا نرتدي الملابس القديمة والمقطعة في الحقل فما هو الجديد إذا؟

صالحة: لا جديد ..... فقط أردت أن ارتدي ثوبا جديدا لاستخدمه في الحقل هل هو عيب أم حرام؟

نوره: لا لا عيب ولا حرام... لكنه أمر غريب.. واعتقد أن له علاقة بتلك الابتسامة التي كانت تشق وجهك عندما وصلت.. وأخشى أن لها علاقة بالفزاعة التي تقف خلفنا في الحقل المجاور.

صالحة: أي فزاعة؟

نوره: بتهكم؟ أي فزاعة؟؟؟؟

ويظهر من بعيد شقيق صالحة «على» الذي هو خطيب نوره والذي أرسلته الأم إلى الحقل ليطمئن إلى وضع الفتيات

أثناء العمل ولتطمئن إلى سبب تغير مزاج ابنتها.

علي: السلام عليكم (مخاطبا صالح الذي جفل لرؤيته بعد أن كان سارحا) .

صالح: وعليكم السلام ورحمة الله .....هلاااا والله .. كيف حالك وحال الوالد؟

علي: بخير... هل نفذ الماء من البئر؟

صالح: لماذا تسال؟ هل نفذ الماء من عندكم؟

علي: لا لكن أتساءل لم تستغرق كل هذا الوقت في حفر البئر لوحدك؟ لم لا تطلب المساعدة؟؟

صالح: أي بئر؟

علي: هذه التي تحفرها منذ شهر..

صالح: هههههه لكن أنا لا احفر بئرا. أنا أعزق الساقية.

علي: حقا؟؟ انت لم تبارح مكانك منذ الأسبوع الماضي؟؟ عن أي عزق تتحدث؟

صالح: أرضي وأهتم بها؟ أمِن مشكلة لديك؟؟

علي: لا لا معك حق فهي أرضك ... تابع عملك وإن خرج الماء أعلمنا كي نذبح نذرا.

ينظر صالح إلى على شذرا ولا يجيبه على سؤله بينما يتوجه على ناحية أخته وابنة عمه وقبل أن يسلم يسألهما: هل يزعجكما هذا الفتى هناك؟ وترد صالحة بالنفي ويرافقها رد نوره بالإيجاب مما يثير حفيظة على الذي يسال مجددا: نعم أم لا؟

صالحة: هو في أرضه ونحن في أرضنا وما شأننا به؟
نوره: إنه يقف هنالك دائما كالصنم وذلك يزعجنا.
صالحة: لكن لا شأن لنا به.
علي: هل يكلمكم.
صالحة: (بعجل وارتباك) لا أبدا١ لم يكلمنا أبداَ.
نوره: لا لم يخاطبنا أبداَ.
علي: إذا ضايقكم أخبروني. سأذهب الآن فلدي عمل في الأرض السفلية ..

ويرحل على والشك يتآكله فالرد المتنافي وتبريره لم يكونا مقنعين أبداَ....

## صالحة
## ٣

بعد أن يذهب علي تتبادل الاثنتان نظرات العتب والغضب لما أبدينه من رد غير مناسب على سؤال على ووسط العتب والغضب يولد جو مشحون بالقلق مما قد يكون علي قد فهم أم لم يفهم مما حدث وقد زاد وجود صالح الوضع سوءا حيث لم يحرك ساكنا وبقي في مكانه المعهود يعزق لحظه ويقف لحظات.

وفي طريق العودة إلى البيت بدأت الاثنتين حديث العتب الذي قل حِده مع مرور الوقت وتحول إلى تعبير عن القلق بسبب ما حدث:

نوره: أنا لا أعرف لم قلت لعلي ما قلت؟

صالحة: ولا أنا .. أنا لا أعرف لم قلت ذلك؟

نوره: أن ما قلته أفضل بكثير من توترك. لم كنت متوترة وكأنما كنت تخفين شيئا أو كنت ارتكبت ذنبا ما؟

صالحة: لا أدري ...لكني استغربت قدومه وسؤاله .. لقد ارتبكت وخصوصا بعد الذي قلته لي البارحة... اعتقدت أنه ربما يعرف شيئا عن الأمر.

نوره: أي أمر؟؟

صالحة: الأمر الذي تحدثنا عنه البارحة.

نوره: لكنه لا شيء.

صالحة: إذا لماذا قلت بأنه يزعجنا لعلي إذا كان الأمر لا شيء.

نوره: لا أدرى.

صالحة: إذا هو شيء ولو لم يك كذلك لما حدث ما حدث؟

نوره: حسنا حسنا لقد وصلنا أجلى ذلك إلى الغد ..

صالحة: لا لن نفترق حتى نتفق على ما سنقوله لأهلنا.

نوره: نقول ماذا عن ماذا؟

صالحة: اسمعي .... عندما تسألني أمي مثلا عما حدث ماذا أقول؟

نوره: قولي لها الحقيقة.

صالحة: هل أخبرها بما حدث بيني وبين صالح؟

نوره: اسكتي .... اخفضي صوتك يا حمقاء... ما الذي

حدث بينكما أيتها الحمقاء؟

صالحة: النظرات والتفحص والابتسامات وغيرها.

نوره: حمقاااااء كفاك تفوها بالترهات.

اسمعي أخبريهم بان صالحا يقف في أرضه كثيرا وأننا نشعر أحيانا بالخجل من وجوده لا أكثر.

صالحة: لكني لم انتبه لذلك ولم اخجل بل انت انتبهت وانت أخبرتني.

نوره: لا بأس قولي لهم ما قلته لك وينتهي الأمر.

صالحة: حسنا اتفقنا ...

نوره: وتذكري أن شيئا لم يحدث إطلاقا وان صالحا لم يكلمنا ولم يتعرض لنا إطلاقا.

صالحة: حسنا اعرف ذلك.

نوره: الآن ادخلي إلى البيت .. يجب أن لا نتأخر .. هيا اذهبي.

وتدخل صالحة إلى البيت لتجد أمها وأخاها علي في انتظارها وقد بدا عليهما أنهما كانا ينتظران قدومها مع سيل من الأسئلة:

صالحة: السلام عليكم

علي: وعليكم السلام... تعالي واجلسي ... أخبريني ما الذي يحدث في الحقل؟ أخبريني ولا تكذبي على ... هل يضايقكم صالح .. هل يتحرش بكم ..وان كذبت عليَّ وقلت بأن شيئا لم يحدث فسأسلخ جلدك عن عظمك لأني رأيت

اليوم ما لم يسرني.

صالحة: وهي تبكي (أنا لم أفعل شيئا والله العظيم) لم أفعل شيئا هو الذي ابتسم أولا. أُقسم أنى لم اقصد .. نوره هي من قالت لي.

الأم: ماذا تقولين؟؟ ماذا فعلت؟

لا تستطيع صالحة الكلام وتشرع في البكاء والنحيب من شدة الخوف من على الذي أمسك يدها وبدا يلويها بقوه.

علي: أخبريني منذ متى هذا الأمر؟

صالحة: أنا لم أفعل شيئا .. أقسم. أنا لم أنتبه.. نوره هي من نبهتني وقالت لي أن أنظر.. والله لم افعل شيئا .

وتضرب صالحة ضربا مبرحا من أخيها الذي لا يتوقف عن ضربها حتى مع توسلات أمها له بالتوقف كي تفهم منها ما تقول ..

علي: ألا تسمعين ما تقوله؟ ألا تسمعين؟ ونوره هي الأخرى. سيكون عقابها عسيراً.

الأم: توقف يا ولد لا نريد للأمر أن يكبرولا نريد أن يعرف والدك بالأمر. دعنا نرى ما الذي علينا فعله.

علي: سأقتل ذلك الأحمق... سأقتله لا محاله.

الأم: كف عن التهديد واخرس ... دعنا نرى ما يمكننا فعله. وإياك أن تذهب لصالح أو أن تمسه ولا تحدث أحدا بالأمر أبداَ؟ هل سمعت؟ ولا أحد.

علي: حسنا ...ولكن أدبي ابنتك وان كانت قد أخطأت

فسوف أدفنها هاهنا.

صالحة: أنا لم أفعل شيئا والله.

الأم: اخرسي يا حمقاء.

اخرج أنت الآن ودعني أرى ما أنا فاعله ... اخرج دعني أفهم ما الذي حدث بالضبط .

وبعد أن يخرج صالح مغاضبا تبدأ الأم الحوار مع ابنتها قائلة: لم أردت ارتداء الثوب الجديد اليوم؟ أخبريني؟ هل كنت على موعد معه؟

صالحة: لا والله يا أمي؟ أنا لم أكلمه أبداً .

الأم: إذا تكلمي. ماذا حدث بالضبط.

صالحة: لقد قالت لي نوره بأنه ينظر إليَّ دائما فاعتقدت أنه ... أنه... وتبكي بحرقه.

الأم: أنه ماذا؟

صالحة: اعتقدت فقط والله إني اعتقدت فقط.

الأم: اعتقدت ماذا؟؟؟ أجيبي.

صالحة: اعتقدت أنني سأصبح أما مثلك؟

الأم: ماذا؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ ما الذي حدث بالضبط ؟؟؟؟؟؟ تكلمي؟؟؟ هل حدث شيء بينكما ؟؟ تكلمي .

صالحة: نعم.

الأم: يا ويلي ... يا سواد وجهي ... يا سواد وجهي. متى حدث ذلك؟ تكلمي.

صالحة: لا أدري. هو الذي بدا أنا لا أدرى متى حدث

ذلك؟

الأم: وهل تعرف نوره بالأمر؟

صالحة: نعم .. تعرف كل شيء

الأم: تضربها وتصفعها بشده ...سود الله وجهك ... ماذا سنفعل الآن .. ماذا سنفعل؟

صالحة: أمي لكن أنا لم أفعل شيئا .. وتصمت صالحة بعد أن تعاجلها أمها بصفعه مدويه على خدها .

وتخرج من فورها متجهة إلى بيت شقيق زوجها لتطلب من نوره المجيء لمساعدتها في أمر ما وحين تدخل نوره تفاجأ بصالحة منزوية في زاوية الغرفة وقد ضربت وبكت حتى شبعت.

الأم: أخبريني هل ما قالته صحيح؟ هل أنت من لفت انتباهها للأمر؟

نوره: نعم صحيح يا عمه لكن لم يحدث شيء أبداَ صدقيني. فهو يقف في أرضه ولا شأن لنا به.

الأم: لا شان لكم به... اذهبي إلى بيتكم ولا تخبري أحدا أبداَ بما حدث وان سألتك أمك عن سبب استدعائي لك قولي بأنني أنقل الفراش من غرفة لأخرى واحتجت لمساعدتك في حمله.. اذهبي.. سود الله وجوهكن.

تنظر نوره إلى صالحة التي كانت ترتجف.. ماذا قلت يا صالحة.. ما الذي قلته...

الأم: قالت ما يكفي. اذهبي انت الآن هيا.
نوره: يا عمه لم يحدث شيء صدقيني.
الأم: وما يدريك أنت؟ إذا كانت هذه الحمقاء لا تعرف متى حدث لها ما حدث..... يا ويلي . يا ويلي و يا سواد ليلي.
نوره: صالحة ماذا فعلت؟

صالحة تنظر بعين ملؤها الألم إلى نوره وتقول لها لا أدرى والله لا أدرى وتغادر نوره مصدومه وملؤها الشك والارتياب والتساؤل؟ ماذا حدث ومتى حدث ذلك؟ معقول أن صالحة فعلت ذلك؟؟؟؟ معقول؟؟ لا أصدق.

وفي تلك الليلة يجتمع الأب والأم بعلي اجتماعا مغلقا ينتهي بقرار حاسم يقضي بأن علي عليه أن يأخذ صالحة لزيارة الطبيب في القرية المجاورة ليعالجها من مرض ألم بها فجأه وان هذا المرض فتاك إلى درجه أنه لم يمهلها إلى أن تصل إلى القرية المجاورة وأن وفاتها قد حدثت في الطريق. وبالنسبة لصالح فقد انتهى من عزق الساقية أخيرا وسافر هو الآخر إلى مكان غير معروف. فيقول البعض أنه قد ترك القرية وغادر إلى المدينة بحثا عن عمل ويقول البعض الآخر بأنه غادر ليلا دون أن يأخذ معه أي متاع وأن أخباره قد انقطعت كليا عن أهله. أما نوره فقد تزوجت بسرعه من علي بعد عودته من رحلته إلى القرية المجاورة بشهر واحد وما تزال تلك النظرة في عينيها والسؤال ذاته يحيرها متى وكيف وأين ؟؟ ومتى فعلت

صالحة ما فعلته وماذا كانت تريد أن تقول لها عندما نبهتها لنظرات صالح؟ ماذا كانت تلك الكلمة التي لم تقلها وكانت سببا في سفرها دون رجعه؟

## فضيلة

أنِـفَـتْ ومـا أنِسَـتْ فلما واصَـلَـتْ
ألِـفَـتْ مجـاورة الخـرابِ البلقَعِ

فضيلة.. فضيلة.. أين أنت .. لقد عدت .

يدخل محمد إلى البيت مبتهجا ومسرورا على غير عاده باحثا عن زوجته فضيلة في البيت. يضع حقيبته على المنضدة ويرفقها بقبعته.

فضيلة.. أين انت؟

وتظهر مدبرة المنزل لتلقي التحية على رب المنزل ولتخبره بأن السيدة قد خرجت منذ ساعة لتبتاع بعض المشتريات للمنزل وبأنها لابد في طريق العودة الآن.

محمد: حسنا لا بأس .. هل الغداء جاهز؟

المدبرة: نعم .. انتظر السيدة لتأتى فقط؟
محمد: هل يزيد في البيت أم أنه مع فضيلة؟
المدبرة: إنه نائم.
محمد: حسنا ..

ويتوجه محمد إلى غرفته ليستحم وهو يفكر في كيفية إبلاغ زوجته الحبيبة بالبشرى السارة التي لطالما انتظراها.. ذلك القرار المنتظر الذي ألحت فضيلة على زوجها ليتخذه. وبعد أن فرغ محمد من حمامه وارتدى ملابسه جلس على السرير كالطفل الصغير الذي ينتظر قدوم أمه ليزف إليها نبأ حصوله على أفضل الدرجات في المدرسة وتحولت الجلسة إلى استلقاء والاستلقاء إلى نوم عميق لم يقاطعه سوى صوت أذان المغرب. التفت محمد إلى المنبه بجانبه ليكتشف بأن قيلولته قد طالت قليلا لكن الفرحة لم تفتر بداخله وترك الفراش من فوره للبحث عن زوجته ليرى انشراح صدرها وفرحتها بما كان يعتزم أن ينقله إليها من أخبار ساره
فضيلة
فضيلة... أين انت؟

ويبحث عنها في أرجاء المنزل بلهفه ليجدها جالسه على السجادة تصلي المغرب ويجلس بجانبها في انتظار أن تنهي الصلاة وعندما سلمت سألته سؤالها المعتاد: ألن تفكر في الصلاة؟ متى ستبقى هكذا؟

محمد: دعينا من الصلاة الآن واسمعيني. لدي خبر رائع لك.

فضيلة: ماذا؟

محمد: احزري؟

فضيلة: اشتريت البيت الذي تحدثت عنه؟

محمد: لا ... أفضل .

فضيلة: إذا حصلت على قرض للسفر.

محمد: لاااا نحن دائما نسافر.. الأمر أفضل من ذلك

فضيلة: اذاااااا ... دعني أفكر ؟؟؟ ما هو الشيء الأروع من هاذين الخبرين... وجدتها. ابتعت سيارة جديده للسائق؟؟

محمد: لاا لاااا لم تصلي بعد .

فضيلة: ماذا إذا لقد عجزت. قل لي ما الأمر؟

محمد: أوليس لديك أمنيات أخرى؟

فضيلة: لدي الكثير طبعا لكنها لا تحضرني حاليا .. ما الأمر بالله عليك لقد حيرتني وأثرت حفيظتي في الوقت ذاته. هيا قل.

محمد: لن أقول حتى تعديني بأن تعطيني البشارة؟

فضيلة: حسنا أبشر بها. سأعطيك ما تريد .. فقط أخبرني؟

محمد: تذكري. ليس بالضرورة أن يكون العطاء ماديا

فضيلة: حسنا أعدك بان أعطيك ما أقدر عليه هيا تكلم لا تفلجني.

محمد: حسنا يا سيدتي ... لقد حصلت على ترقيه في

العمل؟ لقد أصبحت نائب مدير المطار؟؟ وهذا يعني زيادة في الراتب وزيادة في كل شيء.

فضيلة: مبروك يا حبيبي أنني سعيدة جدا من أجلك. وأنت فعلا تستحق الترقية. وغدا سأعد احتفالا أعزم فيه الأهل والأقارب على شرفك.. هاه ... أخبرني ... ماذا تريد كبشارة ؟؟؟

محمد: ليست هذه هي البشارة يا قمري؟

فضيلة: أهنالك خبر أفضل من هذا؟

محمد: نعم ولا ...

فضيلة: كيف؟ ما قصدك؟

محمد: البشارة هي على ما ينطوي عليه هذا الخبر؟

فضيلة: وعلام ينطوي؟

محمد: اهاااا أتذكرين عندما تشاجرنا قبل فتره .. واشتكيت من كوني كثير السفر ولا أبقي في البيت وبأنك تشعرين بالشوق لي دائما وتفتقدين إلى وجودي بجانبك وجانب يزيد؟

فضيلة: نعم وما زلت لكنك قلت بأن عملك يقتضي السفر كونك طيار مدني ولم أعاود الشكوى لأنني أتفهم وضعك.

محمد: وهذا ما يجعلني دوما ممتنا لوجودك في حياتي .. الآن لا مزيد من السفر.. أصبح عملي إداريا ولن اقود الطائرات بعد اليوم وسأجد الوقت لك وليزيد ولأطفالنا الذين سننجبهم أن شاء الله .. أريد سبعه أطفال لا أكثر؟

تنظر فضيلة إلى محمد وهي مصدومه وكأنما سكب على جسدها دلو ماء بارد وتقول له: لم أفكر في ذلك أبداً؟

محمد: لا بأس .. خمسة إذا لن أكون طماعا .. خمسه يكفونني.

فضيلة: ووجهها ما زالت تعلوه الصدمة .. حسنا الله الرزاق ... سنرى ما يجلبه لنا خمسه أم سبعة أم عشره من يدري؟

محمد: أووووه يبدو أنك ازددت حماسا ... حسنا الليلة عشاءك عليَّ. سنخرج جميعا إلى المطعم لنحتفل بهذه المناسبة .. هيا .

فضيلة: محمد... أشكرك. أنا أعرف ما يعنيه الطيران بالنسبة لك.. وأعرف أنك تخليت عنه من أجلنا. شكرا لتضحيتك.

محمد: هذه ليست تضحيه فأنا فعلت ذلك ليكون لدي الوقت لأنجب القبيلة التي أريد... أنت تعرفين .. أن استمراريه آل فاضل منوطه بنسلي هههههههه . حسنا لا تضحكي مع أنها نكته رائعة .. كم أنت سمجه .. على أن أدربك على كيفية الضحك على جميع نكتي من الآن فصاعدا. تضحك فضيلة ضحكه مصطنعة لكنها لا تعجب محمد الذي يقول لها ممازحا بينما يغادر الغرفة: ما زلت سمجه وتحتاجين إلى تمرين على الضحك لذا استعدي لسماع مئات النكات الجميلة مني يوميا ...أنا أنتظرك .. استعدي للخروج.

يصل محمد وفضيلة إلى مطعم فاخر ويتناول محمد لائحة الطعام من على الطاولة ويبدأ بقراءة أصناف الطعام المتوفرة ويخير زوجته بينها بينما تنظر إليه هي نظرات امتزج فيها الاستغراب مع السعادة. اختر ما شئت فأنا أثق بذوقك وسأتناول ما تتناوله أنت. حسنا إذا. سنتناول المشويات ولتنسي موضوع الحمية اليوم. ما رأيك؟ تجيبه فضيلة بإيماءة من رأسها وابتسامه تدل على الرضا مع نظرة الاستغراب التي كانت لا تزال تغشو عينيها. لم تنظرين إلى بهذه الطريقة يا فضيلتي؟ تجيب فضيلة بهزة كتف .. فيسألها محمد مره أخرى: ماذا ما بك؟ هل ترينني لأول مرة؟

فضيلة: يبدوا الأمر كذلك؟ ما الذي حدث لك لتتغير فجأة هكذا؟ الترقية والكلام الجميل والوقت الإضافي والنكات؟ ماذا ما الذي حدث لك؟

محمد: أنا لم أتغير. لقد طلبت مني أن أحاول البقاء في البيت فتره أطول وقد فكرت في الأمر ووجدت أن ذلك في مصلحتي. ومع إني أحب الطيران إلا أنني ارتأيت أن الطيران قد أرهقني كثيرا وان الانتقال إلى العمل المكتبي سيناسبني أكثر.

فضيلة: لا أدرى لم يخيفني كلامك هذا. كم أتمني أن أُصدقك.

محمد: فضيلة أرجوك. لا تعودي إلى موضوع الشك مرة أخرى.

فضيلة: أنا لا أشك. أنا واثقة بأنك كنت على علاقة

مع إحدى المضيفات وأخشى أن يكون هذا التغيير شكلا من أشكال التكفير عن الذنب أو أن يكون بداية جديده لمغامرة جديدة.

محمد: اسمعي..... أنا اليوم سعيد ولن أفسد سعادتي بالجدال معك .. وصدقيني لا يوجد شيء مما تفكرين به .. ها قد جاء العشاء. حبيبتي ثقي بي ولو لمره...أنا أحبك ولن أخونك أبداَ.

فضيلة: حسنا ... سأصدقك .

ويتناول الاثنين العشاء في صمت يحكي الكثير.. ويمهد لفصل جديد في حياة الاثنين ... فصل مليء بالمفاجئات.

## فضيلة

أنِـفَـتْ ومـا أنِسَـتْ فلما واصَـلَـتْ
ألِـفَـتْ مجـاورة الخـرابِ البلقَعِ

٢

كان التغيير الذي أحدثته ترقية محمد كبيرا حيث أصبح يتواجد في البيت بشكل يومي ولم يعد يتغيب لأيام كما في السابق. ومع هذا التغيير كان يتوجب على فضيلة تغيير جدول حياتها هي الأخرى وكان عليها أن تقلل من ساعات تواجدها خارج البيت وكذلك كان عليها التقليل من ساعات مكوثها أمام الحاسوب والجوال لأن محمد عاد إلى البيت بطبيعة مختلفة كليا عما كان عليه. ولربما كانت هذه هي طبيعته لكنها كانت مختبئة خلف الإرهاق والتعب والغياب الذي فرضته عليه وظيفته كطيار. كان يعود إلى المنزل ضاحكا مستبشرا فاتحا ذراعيه للمنزل ومن فيه. وقد أغدق على زوجته وابنه

من الحب والحنان ما لم يعتادا عليه إطلاقا. وتحسن حسه الفكاهي وانفتحت شهيته للأكل وأصبح يطلب من زوجته إعداد أطباق من الحلويات والموالح وكلما كانت فضيلة تبدي استغرابها من سلوكه، كان يجيبها بأن تغير الوظيفة غير كل شيء حتى شهيته. فلم يعد عليه الحفاظ على وزن محدد كي لا تقع الطائرة بركابها لكبر كرشه. كانت حينها تضحك لكن الضحك لم يكن من قلبها. لم تكن سعيدة بذلك التغيير بقدر محمد. بل بالعكس فقد فقدت شهيتها وازدادت نحفا وبهتت بشرتها وبدت مريضة، حزينة مهمومه. كانت تذبل يوميا أمام زوجها الذي لاحظ الأمر وقرر أن يأخذها إلى المستشفى لإجراء التحاليل ليطمئن إلى أن الأمر لا ينطوي على مشكلة صحية.

محمد: عزيزتي فضيلة. هل أنت بخير؟

فضيلة: نعم. لكن لماذا تسال؟

محمد: لا شيء. لكن تبدين شاحبة ومهمومة. هل أنت على ما يرام؟

فضيلة: نعم. أنا على ما يرام. قد تكون قلة النوم هي السبب.

محمد: لم لا نذهب إلى المستشفى لنجري فحصا شاملا كي نطمئن؟

فضيلة: لا أرى ضرورة لذلك. صدقني أنا بخير.

محمد يقترب منها ويسألها بصوت منخفض: هل انت حامل؟

فضيلة: لا لست حاملا؟

محمد: إذا لم تبدين شاحبة هكذا؟

فضيلة: لا أدرى ولا أعتقد أن الأمر يتعلق بصحتي الجسدية.

محمد: إذا ما الأمر. هل أنت متعبة نفسيا. هل تريدين أن نسافر إلى الخارج للاستجمام.

فضيلة: لا ... لا طاقة لي على السفر. لا تقلق أنا بخير وعندما أشعر بالرغبة في السفر أو التغيير تأكد بأنني سوف أخبرك.

يصمت محمد على سيل من الأسئلة التي ما زالت تدور برأسه. لم أصبحت فضيلة هكذا؟ هل من المعقول أن تغييري لطبيعة عملي هو السبب؟ وفجأة يلفظ ما كان يجول في باله: هل أنت سعيدة بالوضع الجديد؟

فضيلة: ماذا تقصد؟

محمد: وضعنا الحالي. وجودي في المنزل لمدة أطول من ذي قبل؟

فضيلة: طبعا أنا سعيدة بذلك. أنا طلبت منك أن تقلل من ساعات غيابك ألا تذكر؟

محمد: إذا غدا نذهب إلى المستشفى ولا أريد أي أعذار. أريد أن أطمئن عليك فوضعك لا يعجبني إطلاقا؟

فضيلة: حسنا .. أن كنت ترى ذلك. فسأذهب.

وفي الليل وبينما فضيلة نائمة كان محمد يحدق بها

ويراقب أنفاسها وهي تنام كالأطفال. وتزداد مع كل نفس تخرجه تساؤلاته ويزداد قلقه عليها. أن كانت تنام كالأطفال هكذا فكيف يكون النوم سبب شحوبها؟ ويقرر في هذه اللحظة أن يوسع من دائرة تحرياته ويخرج إلى خارج الغرفة ويتجه إلى غرفة الخادمة التي يستدعيها ليسألها بعض الأسئلة حول سيدة المنزل. أسئلة تتعلق بأسباب شحوبها وعن الأمور التي تغيرت في جدول أعمالها وقد تكون قد سببت هذا التغير في وضعها. فكان جواب الخادمة بان السيدة كانت تخرج أكثر لزيارة أهلها وصديقاتها قبلا لكنها الآن لم تعد تخرج كثيرا. وبأنها كانت تخرج للتبضع ولشراء الاحتياجات المنزلية لكن وجوده في المنزل قد قلل أعباءها. وهنا وجد محمد الإجابة على تساؤلاته. لابد أنها تشعر بأنها مقيده وتحتاج للخروج أكثر. لابد لي أن اخرج للتنزه معها غدا بعد أن نعود من المستشفى.

وبعد انتهاء الفحوص في المستشفى طمأن الطبيب محمد مبدئيا قائلا له بأنه لا يوجد ما يدعو إلى القلق. وبأن زوجته بحاجة إلى بعض الفيتامينات والمكملات الغذائية. وبأنها تمر بفترة من التغيرات الفسيولوجية التي قد تسبب ظهور أعراض الإرهاق عليها. وبأن النتائج سوف تظهر في الغد مع أنه واثق من عدم وجود مشكله لدى فضيلة. فانشرحت أسارير محمد وابتهج بالأمر وقرر أن يعزم فضيلة على الغداء في مطعم راق وهنالك دار بينهما حديث عن المستقبل وعما يجب عليهما فعله للغد:

محمد: أنا سعيد لأنك بخير.

فضيلة: شكرا لك؟ أخبرتك أن لا مشكلة لدي.

محمد: حسنا.. حدثيني... قولي شيئا... كلميني عن همومك.. عن تطلعاتك.. عن رغباتك. هل هنالك ما تودين فعله؟

فضيلة: مثل ماذا؟

محمد: هل تريدين إنهاء دراستك مثلا؟

فضيلة: لا لا لا أريد. لقد أنهيت البكالوريوس بصعوبة .. ولا أريد كذلك أن اعمل .. فالحمد لله لا أحتاج إلى العمل فأنت توفرلي كل ما أحتاج وأكثر.

محمد: صحيح...حسنا .. ما رأيك في أن ننجب طفلا آخر؟ أريد فتاة جميلة تشبهك.

فضيلة: لم لا. أن شاء الله.

محمد: حسنا. عليك إيقاف الموانع من الآن فصاعدا .. فكما أخبرتك أريد فريق كرة قدم.

فضيلة: لكني لا آخذ موانعاَ؟

محمد: لكن أتذكربانك كنت تأخذين حبوبا أو ما شابه

فضيلة: نعم... كان ذلك عندما كان يزيد صغيرا .. لقد أوقفتها مذ كان في الثانية من عمره؟

محمد: إذا لمَ لم تحملي بعد؟

فصيلة. لا أدرى. أنها إرادة الله.

محمد: علينا أن نستشيرطبيبا .. ألم تفكري في استشارة طبيب؟

فضيلة: بلى فعلت وقالت لي بانه لا مشكلة لدي .. قالت أن بعض النساء يتأخرن هكذا بدون سبب وأن الأمر طبيعي؟

محمد: حسنا لا بأس. قد أكون أنا السبب. سأستشير طبيبا كي أطمئن. ها قد جاء العشاء.

وفي الغد يذهب محمد وفضيلة إلى المستشفى ليقوما بعمل فحص طبي. وكانت النتيجة أن فضيلة لا تشكو من أي أمراض عضوية بل تعاني من أعراض لاعتلالات نفسية قد تكون بداية الاكتئاب. وبالنسبة له هو فقد فوجئ بنتائج تحاليله التي جاءت لتثبت بانه غير قادر على الإنجاب ابتداء أي أنه عقيييم.....

## هيلة

وهـي الـتي قـطـعَ الـزمـانُ طريقَها
فـكـأنـمـا غـرَبَـتْ بـعـينِ المَطْـلَـعِ

فـكـأنـهـا بـــرقٌ تـــأَلَّـــقَ بـالحـمـى
ثـمّ انـطـوى .. فـكـأنّـهُ لم يلمعِ

على .. أين أنت يا ولدي؟
علي: أنا هنا يا أمي؟ ماذا تريدين؟
هيله: اذهب إلى الخباز وأحضر لنا خبزا .
علي: لقد اشتريت الخبز بالأمس. هل نفذ ما قد جلبته؟
هيله: نعم.. لقد أكلت ما تبقى منه اليوم صباحا. ألا تذكر؟
علي: أكلت خبزه واحدة.
هيله: وأنا أكلت واحدة.
علي: أمي أنا اشتريت خمس خبزات. وأكلنا أربع منذ البارحة.

هيله: لقد أكلتها أنا ليلا.. شعرت بالجوع فأكلتها.. ثم هل تعد على لقيماتي؟

علي: أمي لا يناسبك الأكل كثيرا. فأنت سمينة. والأكل في وقت متأخر يزيدك سمنة وكسلا.

هيله: أنا مصابة بالسكري يا ولدي. ثم أنها مجرد خبزه وليست وليمة كاملة. أعرف أنك تريدني أن أعطيك المال لتشتري الخبز فخذ ولا تكثر الجدال.

علي: ريال واحد!! وهل أنا رضيع لتعطيني ريالا واحدا!!

هيله: ليتك كنت رضيعا. بل أنت قد أصبحت شابا كبيرا وتأخذ مصروفك من أمك العجوز السمينة كما تقول. (تتنهد تنهيدة طويلة) لقد أكرمني الله بك وأنا كبيرة في السن بعد أن أهملني والدك وتزوج من تنجب له الأطفال ثم نسيني أنا وأنت. وإخوتك من والدك لا يذكروننا بشيء بعد أن بددت ما حصلت عليه من إرث والدك على سفرياتك ونزواتك.

علي: أوهووووو... عدنا لهذا الموال الذي حفظته عن ظهر قلب.. أن كنت تريدين الخبز هاتي ما في جيبك وكفى.

الأم: أعطيك ما في جيبي من أجل خبزتين.

علي: إن لم تريدي فهذا شانك.

هيله: ليس معي سوى ١٠ ريالات. خذها وأحضر الخبز.

علي: سوف أشتري بها سجائر لي والخبز اطلبيه من الجيران.. سلام.

هيله: حسبي (وتقطع دعوتها خائفة على ابنها من عقاب الله) .. اللهم اهده يا رب. يا كريم.

يخرج علي من المنزل وتنزل دمعة من عين هيله على ولدها عديم الفائدة الذي بات عالة عليها وعلى نفسه , لكنها تقول في نفسها لا بأس على الأقل هو أنس لي وظل لبيتي. لولاه ولولا وجوده لما كان البيت. وتقف هيله بتعن وتلبس عباءتها وتتوجه إلى منزل الجيران لتحصل على ما تأكله. وفي منزل الجيران تلتقي بجارتها العجوز التي تكبرها سنا والتي ليس لديها أبناء ذكور. فاطمة التي أنجبت أربع بنات جميعهن يعملن ويُعلنها هي ووالدهن المتقاعد المسن، وقد استقدمن لها خادمة لتريحها من أعمال المنزل.

الجارة فاطمة: كيف حالك يا هيله؟

هيله: الحمد لله. كيف حالك؟ وكيف حال البنات؟

فاطمة: الحمد لله. جميعهن توجهن لأعمالهن وبقيت أنا والخادمة وحدنا.

هيله: وزوجك؟

فاطمة: يستمتع بتقاعده ويقضيه في النوم .

هيله: نوما هنيئا أن شاء الله.

فاطمة: هل أكلت ؟؟؟

هيله: نعم الحمد لله أكلت.

فاطمة: لا بأس سوف تأكلين معي فأنا لم آكل إلى الآن

هيله: لا أريد فأنا أخشى أن يزداد وزني.

فاطمة: فليزدد ... وماذا في ذلك ... نحن أصبحنا في خواتيم العمر وليس لدينا ما نقلق عليه. فلا صحة ولا جسد نريد أن نتمايل به أمام أزواجنا (يا ماري ... هاتي الفطور).

وتظهر ماري الخادمة الفلبينية رأسها من طرف الباب قائلة: مرة ثاني ماما؟

فاطمة: هاتي الفطور فأنا ما زلت جائعة. أسرعي يا عزيزتي.

وتطأطئ هيله رأسها مخفية اغروراق الدموع في عينيها. لقد أدركت جارتها الطيبة بأنها ما جاءت في هذا الوقت من الصباح إلا لتبحث عن الطعام !!

## هيلة

وهـي الـتي قـطـعَ الـزمـانُ طريقَها
فـكـأنـمـا غـرَبَـتْ بـعـينِ المَطْـلَـعِ

فـكـأنـهـا بـــرقٌ تـــأَلَّـــقَ بـالحـمـى
ثـمّ انـطـوى .. فـكـأنّـهُ لم يلمعِ

علي: أمي... أنا بحاجة للمال.

هيله: كم تريد؟ لكن لا تطلب كثيرا فالمال الذي أحصل عليه من الشؤون الاجتماعية لا يكفينا حتى نهاية الشهر.

علي: لا..... أريد مالا كثيرا.

هيله: من أين يا ولدي وأنت تعرف الحال. لوكنت تعمل على الأقل لزاد دخلنا ولتمكنا من الادخار قليلا.

علي: أمي ... أريد أن أعمل. أريد أن أخوض مجال التجارة والاستثمار. سئمت من وضعي هذا وإفلاسي الدائم وعطالتي وأحتاج لمساعدتك. الست دائما تحضينني على البحث عن عمل وتؤنبينني وتنعتينني بالمتخاذل.. وها أنا أريد

أن أعمل وأعدك أنى سأرد لك المبلغ حين يزدهر عملي.

هيله: كم أود تصديقك. وحتى إن صدقتك، من أين لي المال؟

علي: لديك الكثير يا أمي لكنك تخفينه .. بوسعك إخراجنا من هذا الفقر والبؤس بسهولة لو أردت.

هيله: كيف يا ولدي؟

علي: هذا البيت. إنه يساوي الكثير.

هيله: بيتي... هذا ما حصلت عليه من إرث والدك .. وقد تنازعت وإخوتك كثيرا للحصول عليه. ولم يبق لي غيره ولن أفرط فيه أبداَ.

علي: كم أنت أنانية يا أمي. ماذا تريدين من البيت. أنا ابنك وحيدك. أوليست حياة الأم مكرسة لأبنائها.

هيله: بل الإبن هو من عليه تكريس حياته لأمه التي أفنت نفسها وضيعت كل ما تملك في سبيل سعادته. ثم أين تريدنا أن نعيش أن بعنا منزلنا هذا؟

علي: نستأجر شقة صغيرة ونسكن فيها وأعدك عندما تزدهر أعمالي سأشتري لك قصرا وأملأه بالخدم.

هيله: لا أريد خدمك ولا قصرك وإذا سمعتك تتحدث عن البيت ثانية فسأخرجك منه.

علي: تريدين طردي من بيتي!

هيله: بيتك!! هذا بيتي يا جاحد وهو مسجل باسمي أنا ولن تحصل عليه إلا على جثتي.

علي: فليكن إذا.

هيله: ما الذي فليكن؟ تريدني أن أموت لتحصل على البيت.

على: أنا وريثك الوحيد وسأحصل على البيت عاجلا أم أجلا. فلم التأخير؟

هيله: لعنك الله أيها العاق. اخرج من بيتي حالا. لا أريد أن أرى وجهك. لعنك الله يا ولدي (وتجهش بالبكاء).

علي: لا تستطيعين طردي فلا حول لك ولا قوة وإن لم تبيعي البيت فسأحصل عليه على جثتك وسنرى.

ويتعالى صوت بكاء هيله ونحيبها على ولدها الذي يهدد بقتلها ليحصل على البيت. بكت وهي تراه يخرج من الغرفة والشرر يتطاير من عينية وكأنما هو شيطان لعين. أمعقول أنى أنجبت هذا الصبي؟؟ هل هذا ما حلمت به لسنوات؟ هل هذا هو السند الذي أردته؟ هل خرج هذا الشيطان من بطني .. والله لوكان ابن حرام لما عاملني هكذا!

## هيلة

وهـي الـتـي قـطـعَ الـزمـانُ طريقَها
فـكـأنـمـا غـرَبَـتْ بـعـينِ المَطْلَـعِ

فـكـأنـهـا بـــرقٌ تـــأَلَّـــقَ بـالحـمـى
ثـمّ انـطـوى .. فـكـأنّـهُ لم يلمعِ

يطرق على باب الجيران بوجهه الشاحب وشعرة المبعثر وعينيه الحمراوين وجسده النحيل العليل وتفتح له الخادمة الباب.

علي: أين أمي؟

الخادمة: ماما في داخل.

علي: ناديها.

تذهب الخادمة التي أساءت فهم ما يقوله علي معتقدة أنه يقصد سيدتها وتخرج فاطمة لتجد عليا واقفا بالباب:

فاطمة: مرحبا يا ولدي.

علي: أين أمي؟
فاطمة: لا أدرى لم تأت اليوم لزيارتي؟
علي: هي لا تذهب إلى أي أحد سواكم.
فاطمة: لكنها لم تأت إلى هنا.
علي: (بنبرة يعلوها الشك) حسنا. أخبريها أن تعود للبيت.
فاطمة: إذا جاءت سأخبرها.
علي: حسنا .. وقولي لها أن اختبائها لن يفيدها بشيء.

بعد أسبوع:
يطرق على باب الجيران مجددا ويفتح الباب هذه المرة السيد مساعد رب الأسرة.
علي: ألم تظهر أمي بعد؟
مساعد: يا بني أنت تأتي يوميا إلى هنا ونقول لك نفس الشيء. أمك ليست هنا.
علي: إذا أين هي؟
مساعد: وما أدرانا! أهي أمي أنا أم أمك انت؟
علي: أنا سأخرجها.

يدفع علي السيد مساعد ويدخل إلى البيت عنوه باحثا عن أمه ويصرخ السيد مساعد قائلا: إلى أين تذهب؟ هذا البيت له حرمة. اذهب وابحث عن أمك في مكان آخر؟
علي: أنا أعرف أنها تختبئ هنا. لكن حتى متى؟ تعتقد

أنى سأغيررأيي. أمي .. أخرجي يا أمي ... أعرف أنك هنا... أن لم تخرجي الآن فسوف .. فسوف ...

السيد مساعد: فسوف ماذا؟ سلوى اتصلي بالشرطة يا ابنتي بسرعة؟

علي: نعم اتصلي بهم. لقد خطفتم أمي.

وتخرج إلى فناء المنزل حيث يقف على مزمجرا وتقول: ومنذ متى تهتم بوالدتك؟ أيها الابن العاق المدمن؟ الآن تبحث عنها؟ لابد أنها هربت منك ومن بؤسك.

على: هي أمي وأنا حر.

فاطمة: حتى لو كانت هنا. ما كنت لأسمح لها بأن تخرج إليك.

علي: ها أنت تعترفين بأنها هنا.

اخرجي يا أمي. سأحصل على البيت شئت أم أبيت واختباءك هنا لن يفيدك أبداَ. اخرجي.

وتصل الشرطة وتعتقل عليا وتقتاده إلى المركز وهو يصرخ: لقد اختطفوا أمي. أمي محتجزة لديهم يا شرطه. أريد أمي.

الشرطي: كان حرياً بك أن تتصل بنا لنتولى هذا الأمر لا أن تقتحم منازل الناس بهذه الطريقة الفجة. البيوت لها حرمات يا رجل. قدم شكواك وسوف ننظر فيها وإن اختطفوا والدتك فسنحرص على أن يتم إيجادها.

السيد مساعد: إنه يهذي يا سيدي. إنه يزعجنا منذ

أسبوع ونحن نقول له أن لا علم لنا بمكان أمه. قد يكون قد ألحق بها الأذى هذا المدمن ويريد أن يتهمنا نحن.

علي: أنت تكذب. أنا لم الحق بها الأذى. أنها تختبئ هنا لأنها لا تريد إعطائي صك البيت ولا تريدني أن أحصل عليه في حال وفاتها. لكن هيهات.

الشرطي: لابد وأنك مجنون.

وتقتاد الشرطة عليا إلى مخفر الشرطة حيث يسجن ويحكم عليه لاحقا بالحبس لستة أشهر لتعديه على منزل الجيران ولتعاطيه وحمله لمواد مخدرة وجدت في جيبه إثر اعتقاله. أما هيله فلم يعثر عليها بعد ذلك ولم يعرف مصيرها. قال البعض بأن ابنها قد قتلها في ثورة انتشاء وأخفى جثتها , وقال البعض الآخر بأنها هربت منه ولجأت إلى دار للمسنين ,وقال البعض الآخر بأنها قد سافرت إلى أقارب لها في الشمال ولن تعود أبدا!!!.

# العودة

وتــعــودُ عــالمــةً بــكــلِّ خـفـيَّـة
في العالمينَ .. و خَرْقُها لم يُرْقَعِ

تفتح رفعة عينيها وتظل شاخصة البصر تتأمل السقف بينما جسدها ممد على السرير. تنظر حولها بعينيها دون أن تحرك ساكنا وتتأمل غرفتها بتروٍ وكأنما أفاقت من غيبوبة طويلة. ومن ثم تأخذ نفسا عميقا لتتأكد من أنها ما تزال على قيد الحياة. وبينما هي على هذا الحال يطرق باب الغرفة وتسمع صوتا ينادي من الخارج. رفعه افتحي يا ابنتي. افتحي الباب؟ هل أنت بخير؟ افتحي يا ابنتي.

ترد رفعة على نداء والدها وتقول له أنا بخير يا أبي. أنا بخير. لقد كنت نائمة.

الأب: كفاك نوما.. إنها العاشرة ليلا .. هل أنت نائمة منذ يومين؟

تنظر رفعه إلى ساعتها وتفاجأ بأنها فعلا قد نامت يومين كاملين تقريبا. لكنها تجيب بالنفي على والدها وتخبره بأنها نائمة منذ السابعة صباحا. فطلب منها والدها أن تفتح الباب ليتمكن من الحديث معها.

الأب: افتحي الباب يا رفعه. هل تريدين أن تبقيني واقفا أكثر. افتحي الباب؟

ويمر في رأس رفعه شريط الأحلام التي رأتها في منامها. فرأت وجه صالحة واعتقدت بأن ما رأته في الحلم على وشك أن يتحقق. لابد وأن والدها يريد أن يعاقبها على ما فعلته ..

لقد دقت ساعة الصفر. سوف يدخل والدي الآن ومعه سكين أو مسدس أو أي شيء آخر. أو قد يحمل سوطا .. أو قد يأخذني في رحلة علاجية إلى الخارج .. أو أو ..... افتحي يا رفعه .. ويوقظها الصوت مجدداً ويخرجها من سلسلة كوابيسها ... هل تريد أن تعاقبني؟؟(سألت والدها بصوت يملاه الرعب) افتحي الباب يا رفعة. لن أعاقبك يا بنت لكن أن أبقيتني عند الباب أكثر فسوف تعاقبين وبشده. افتحي الباب..

تتلكأ رفعه وتتردد في فتح الباب ... وتطلب من أبيها أن

يعدها بألا يؤذيها وهو بالمقابل يزداد غضبا مع كل توسل وكل لحظة تأخير... افتحي الباب يا رفعة...

تفتح رفعة الباب وتلتصق بالجدار المقابل واضعة يديها على وجهها لتحمي نفسها من صفعة محتملة قائله: أرجوك يا أبي ... أنا لم أفعل شيئا.. أقسم بالله أنى لم أفعل شيئا. هو هو الذي بدأ.

الأب: بدأ بماذا؟

رفعة: وكأنما لمعت في ذهنها فكرة. ألم أقل هذا الكلام سابقا.. أم أنني رأيته في الحلم؟

الأب: من الذي بدأ؟ ماذا قولي؟

رفعه: ذلك الشيخ؟ لقد كان يعاكسني يا أبي وأنا والله لم افعل شيئا. كنت أبحث عن أخي لأني قلقت عليه وهو تأخر عليَّ .. لا أدرى إلى أين ذهب .

الأب: رفعه... اهدئي ... واجلسي.. دعيني أحدثك .. اجلسي.

وتجلس رفعه بعينيها المغرورقتين بالدموع ... وليس في فمها غير كلمة أنا لم أفعل شيئا .. هو الذي بدأ.

ويجلس والد رفعه إلى جانبها ويضع يده على راسها ويهدئها ويقول لها: يا ابنتي .. أنا أعرفك جيداً وأعرف من ربيت ...أنا لم أشك ولن أشك بك مطلقا. وأنا أعرف أن بعض مدعي

التدين لا يحترمون ما يمثلونه.. أنا لست هنا كي أعاقبك لهذا.. أنا هنا كي أقول لك أنك كان من المفروض أن لا ترفعي صوتك في السوق احتراما لنفسك وترفعاً عن مخاطبة السفهاء. لو أنك صمت حينما خاطبك ووليت له ظهرك لعرف قدر حقارته فمثل هؤلاء لا يخاطبون أبداَ. أنا أعرفه وأعرف سلوكه وحينما أخبرني أخوك بالأمر لمته وعاتبته لضربك بهذه الطريقة ولتقصيره هو كونه لم يحاول أن يتفقد هاتفه ليرى أن كنت قد انتهيت أم لا ولأنه لم يحاول أن يفهم أو يعرف ما جرى .. والآن اغسلي وجهك. وصلي على نبينا محمد .. واخرجي من هذه الغرفة فالكل قلق عليك .. هيا.

تنظر رفعة إلى والدها باستغراب وكأنما تحاول تجميع وتشتيت كل ما رأته وسمعته في منامها. كانت تحاول أن تعرف أن كان هذا أيضا أحد الأحلام أم أنها مستيقظة الآن. واستمرت تنظر إلى وجه أبيها الذي وقف على رأسها مستغربا بدوره. رفعه ما بك؟ هل أنت بخير؟ وترد عليه هي بقولها: أبي. هل أنت حلم أم حقيقة؟ أبي هل ما زلت نائمة أم أنني استفقت؟

الأب: رفعة... اخرجي من الغرفة ولا تنسي أن تغسلي وجهك بالماء البارد.

رفعة: أبي... أن كنت لا أحلم فأنا سعيدة جداا .. أبي .. أنا سعيدة لأنني لست صالحة ولست فضيلة ولست محمد ولا نوره ولا صالح ولا هيله.. أنا رفعة وأنا رفعة سعيدة.

الأب: يضحك استغرابا.. تباً لك يا ناصر يبدو أنه قد ضربك على رأسك... هيا هيا انهضي واخرجي لتأكلي شيئا ولا تنسي ما قلته لك.

رفعة: لن أنساه أبداَ ما حييت.. ولا حتى في الأحلام.

خامسة آل فرحان

ماســـتر ©